بسم الله الرحمن الرحيم

مجموعة مقالات تتحدث عن

مؤسس الحركة الكشفية في العالم بادن باول

الموضوعات:

1. **اللورد بادن باول زعيم الكشافة حياة كلها بطولة**
2. **الحركة الكشفية**
3. **الكشفية و قواعدها الأساسية**
4. **حركة الكشافة والمعسكرات**

اللورد بادن باول زعيم الكشافة

حياة كلها بطولة

تشبه حياة زعيم الكشافة اللورد بادن باول ما تقراه عن الأبطال في القصص الخيالية

فقد نشأ فقيرا وظل يعمل ويغامر حتى بلغ أرقى المناصب في جيش بلاده، و لم يقنع بذلك فابتدع حركة الكشافة التي لم تلبث حتى عمت العالم كله فإذا هو قائد لجيش مؤلف من ثلاثة ملايين من زهرة الشبيبة العالمية، وقد وضع لهم مثلا عليا يتبعونها بإخلاص وأمانة ، فكان له بذلك اكبر الأثر في تربية الجيل الحديث

ولد ستيفنس بادن باول يوم 22 فبراير سنة 1857 في بلدة لا تدوجو بإقليم ألغال، وكان رابع طفل لأسرة ولد لها ستة أطفال ،منهم خمسة ذكور وأنثى واحدة، وكان أبوه قسيسا مدرسا، وقد مات مخلفا ولده ستيفنسن في الثالثة من عمره ، و لم يترك له ولإخوته إلا قليلا من المال، فتولى إخوته الكبار تربيته

ولما بلغ ستفنسن السابعة من عمره عهدت أمه في أمره إلى ربان سفينة تدعى كومبنور وبدأ عمله في المطبخ واستطاع أن يصبح طاهي السفينة بعد بضع سنين من الخمول إلى المجد: وهنا نلمس جانبا من حياة الكشافة، فما أفيد دراسة حياة العظماء تفصيلا

لقد بدأ ستيفنسن يحس بنشوة العمل، وكانت سفينته تسير حول شواطئ انجلترا وتتوغل في نهر التيمس من منبعه إلى مصبه، وكان البحارة ينتهزون تلك الفرصة لمغادرة السفينة والسير على الإقدام حاملين معهم زادا يكفيهم في حلاتهم، فمرت هذه الفترات و لم تحدث أثرها في البحارة، ولكن ستيفنسن استخلص منها مبدأ ساميا في تربية النشء الحديث، وكان له من دراسته في المدرسة التحضيرية في ويلز عون على حياته الجديدة ،فقد كان لا يميل إلا إلى العلوم التجريبية والرسم والأشغال اليدوية

ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره جند في الفرقة الثالثة عشرة ،وكان مركزها الهند فأبدى هناك كفاءة وشجاعة، وبعد سنتين أرسل مع فرقته إلى قندهار في بلاد الأفغان لإخماد ثورتها فكان جنديا باسلا أعجب به رؤساؤه، و لم تفته الرياضة لاسيما صيد الوحوش الذي تفوق فيه واشتهر به بين أقرانه، وقد كسب (كأس قادر) التي كانت معدة لقنص السباع، وصاد عددا من الأسود والنمور وفرس البحر وغيرها من الحيوانات المفترسة

وكان في خلال ذلك قد رقي إلى رتبة ضابط، ثم التحق سنة 1883 بخدمة دوق أوف كونوت برتبة (أركان حرب) وبعد حين حاز رتبة (كابتن) وأرسل إلى الناتال للاستكشاف سرا على طول

الحـــدود الـــتي تبلغ 900 كيلومتر، ثم قاد حملة عسكرية على زولولاند فانتصر انتصارا باهرا وعاد بغنـــيمة ثمينة وهي عقد فاخر من اللالئ السوداء والبيضاء، وقد جعلها فيما بعد رمز الكشافة، ومن تلك الحملة أيضا اقتبس أنشودة انجونياما التي ينشدها الكشافة الإنجليز الآن

وفي ســـنة 1890 عين بادن باول سكرتيرا عسكريا لحاكم مالطة، وفي السنة التالية ضابط مخابرات بالدول الواقعة على البحر الأبيض المتوسط ، وقد زار بهذه الصفة بلاد ايطاليا والبانيا واليونان وتركيا وتونـــس والجزائـــر، وقد برع في التجسس حتى تحكى عنه قصص عجيبة أشبه بالروايات البوليسية، وكان يتنكر بأشكال شتى فانا هو فنان، وأنا أخر صياد سمك، وحينا بناء، وهكذا وقد أمد حكومته بمعلومات قيمة عن البلاد التي تجسس عليها.

وفي ســـنة 1892 زار البوسنة والهرسك، ثم شهد المناورات الحربية في ايطاليا، ثم في .. وزار الجبل الأسود، وفي السنة التالية سافر إلى تونس والجزائر

وفي سنة 1894عين رئيسا لأركان حرب الجنرال فرنش

وبعد أربع سنين من ذلك عهدت إليه قيادة الحملة الحربية على قبائل المانيبلي في أفريقيا فانتصر عليها ، ولمن تثنه أعماله الحربية عن الثقافة والأدب، فقد ألف كتابه (سقوط برمبه)

ثم عـــاد إلى الهـــند على راس فرقته، وبعد حين أرسل إلى حرب البوير، وقد اشتهر في تلك الحرب بدفاعـــه عن حصن (مانكنج) حتى قال عنه الجنرال كرونجه وعن رجاله: "ليس هؤلاء جنودا ولكنهم شياطين ..."

وفي ســـنة 1900 أنعمت عليه الملكة فكتوريا برتبة (جنرال) ،ثم عهدت إليه في تنظيم قوة البوليس الراكـــب في جـــنوب أفريقيا وكان عددها 11000 رجل فنظمها على أحدث الأساليب، ثم عينه الملـــك ادوارد السابع مفتشا عاما للفرسان، وظل في منصبه هذا يطوف أنحاء أوربا ويفتش على فرق الفرسان في مختلف الدول ويشهد المناورات العسكرية في كل مكان

وفي سنة 1907 عرض عدة لوحات من رسمه وعددا من التماثيل التي صنعها بيده

نظام الكشافة

إلى هـــنا كـــان الرجل العظيم يبني مجده، وبقي عليه أن يؤلف نظام الكشافة وان يضم زهرة الشباب تحـــت لوائـــه، وحـــدث ذلك في نفس السنة التي عرض فيها لوحاته وتماثيله فقد أقام أول معسكر للكشافة في براونزي بعد أن ظل يفكر في هذا النظام عدة سنين ويختار لباسه وشاراته ورموزه ونظمه وسرعان ما لبى الألوف نداءه، وانتشرت الحركة انتشار النار في الهشيم، ولا عجب فقد دعا الشباب، وما أسرع ما يلبى الشباب دعوة الكشافة ، دعوة الحياة الكاملة

وقـــد ألـــف ستيفنسن كتاب الكشافة وانشأ جريدة الكشاف وصدرها بقوانين هذا النظام ومبادئه وتقاليده

ثم صـــار ينـــتقل مـــن بلد إلى أخر داعيا إلى فكرته ومنظما للفرق الجديدة حتى بلغ عدد(جنوده) في نواحـــي العالم ثلاثة ملايين من زهرة الشباب، وقد بث فيهم تعاليم الكشافة كالاعتماد على النفس وخدمة الغير والنجدة والشجاعة

وقـــد تزوج في سنة 1912 من الآنسة سانت كلير سوسمر وله منها ابن وابنتان ، ولكن الكشافة في أرجاء المعمورة يعدون أنفسهم أبناءه

فما اسعد هذا الأب

مقالة من مجلة ؟

الحركة الكشفية

المرجع: كتاب التربية العامة ص772

إن مثل هذا العرض السريع للتربية الاجتماعية و لوسائل تكوين الطبع؛ لا يكتمل إذا لم نذكر خاصة المحاولات التي قامت بها الحركة الكشفية والنتائج التي توصلت إليها.

وكلنا يعرف نشأة هذه الحركة واصلها.فلقد أبدعها ضابط قديم في الجيش الإنجليزي ،شغلته المسائل التربوية منذ زمن بعيد وأفاد من تجاربه في معاركه الاستعمارية ، ونعني به الكولونيل((بادن باول Baden powell)). وقد قام بتنظيم أول معسكر كشفي في جزيرة ((براون سي Bron sea)) عام 1907والقيمة الخاصة التي تمتاز بها هذه الحركة هي أنها تجاوزت سريعا البيئات الانجلوسكسونية وانتشرت لدى سائر الشعوب ،لأنها تلبي مترعا عاما لدى الشبيبة المعاصرة. وكانت تضم أثناء الحرب العالمية الثانية أربعة ملايين عضو،وكانت لها مؤثراتها الدولية.

ومبدأ الحركة الكشفية التكيف مع إرادة الطفل .وهي بشكل بارز طريقة فعالة في التربية الخلقية .فليس الطفل ـــ كما يقول ((غيران ديجاردانGuerin Dejardins)) ـ ((هو الذي عليه أن يدخل بالقوة وسط اهتمامات الراشدين الخلقية،بل الأخلاق هي التي تتوغل حية عميقة في حياة الطفل، بل هي جزء لا يتجزأ من هذه التجارب، يعيشها الطفل معها ومن خلالها)). ونحن نعلم أن اهتمامات تدور حول الألعاب المشتركة واهتمامات فكرية محسوسة أطلقنا عليها اسم الاهتمامات التقنية الاطلاعية.

وقد قامت الحركة الكشفية منذ البداية على هذا الأساس ـ بفضل ضرب من الحدس الملهم – وتبدت في جوهرها نوعا من اللعب يضاف إلى هذا إن الموضوعات التي تختارها هي تلك التي ينصرف إليها عفو الخاطر خيال الطفل ثم خيال المراهق. فلقد ((بين استقصاء قام في ا لولايات المتحدة إن الأقاصيص على لسان الحيوان هي النوع المفضل من الأقاصيص لدى الأطفال بين الثامنة والعاشرة من العمر. إما المراهقون فان هواياتهم للصيد و الاكتشاف والمغامرة و الأعمال البوليسية أمر أقرته جميع الأبحاث والاستقصاءات)) وهكذا يصبح سر اللعب ،لدى الأطفال بين الثامنة والثانية عشر ،تجسيدا لقصة الطفل ((موغلي Mougli)) الذي ربته أسرة من الذئاب والذي لم يستطع أن يجد خلاصه ـــ وهو الأعزل أمام المخاطر التي تتهدده إلا بما أبداه من إخلاص لشريعة الغاب ولنصائح شعب الذئاب. إما المراهق

فيتحول لديه موضوع اللعب ويفسح المجال لأخيلة المكتشف، أخيلة ((الكشاف)).

ويضاف إلى اللعب العمل،أو يختلط به بتعبير أدق.((فالحركة الكشفية تقدم للطفل ((أشياء عليه أن يقوم بها)). وهكذا تصبح ساعات الفراغ لديه مليئة، وتقف هذه((الأشياء التي عليه أن يعملها)) سدا

منـــيعا ضد كل المغريات والمفاسد التي يعرض لها الفراغ. يضاف إلى هذا أن الأعمال المقترحة هي مما يســـتهوي الأطفال والمراهقين:((الحياة في الهواء الطلق ،المعسكرات ملاحظة النباتات والحيوانات،جمع مجموعات ،ألعاب،توجيه،أعمال يدوية، بناء أكواخ وملاجئ،حفلات حول نار المعسكر،الخ...(دون أن تكـــون هـــنالك حاجـــة إلى الاستشـــهاد بـــنظرية ((العودة)) (إعادة الطفل للمراحل الحيوانية الســـابقة)،تلـــك النظرية العزيزة على ((ستاني هول((Stanley Hall((وجميع هذه الأعمال لها قيمـــتها كتدريب خلقي لا كتدريب مادي فحسب)) إنها تعلم المبادرة و الصمود ومقاومة الأشياء لأهوائنا و الفضول العلمي.

ثم إن التجمع الكشفي يتبدى خاصة على شكل ((جمعية أطفال خيرية)) وهنا تثوي)) القوة العملية)) لأسلوبه. فالطفولة الثالثة هي سن الاندماج المشخص بالمجتمع . والفرقة الكشفية هي عصابة متخلقة، تجـــد فـــيها الاجتماعـــية للطفل المجال اللازم للارتواء ضمن المستوى و الحدود التي تلائمها : روح الجماعـــة ،الحاجـــة إلى المجد الجماعي ، امحاء الفرد أمام الزمرة،خضوع الارادات الشخصية لتيارات الفكر المشتركة

وللأحكـــام المشتركة.أضف إلى هذا انه لتحقيق هذا التحول من العصابة إلى الجمعية الخيرية ،يستعين ((بـــادن بـــاول))بالقواعد والتقاليد و العواطف التي نجدها في الفروسية وفي الجمعيات السرية في أن واحد،بمـــا فـــيها من حفلات تكريس ،وزى خاص ،وشارات متعددة ،واختبارات قبول، وهي أمور تتصـــف كـــلها بقيمة عملية .وأخيرا ينقل قانون الكشفية قوانين الفروسية بعد تحويرها .فالكشاف صـــريح ، ومخلـــص ، ومهذب،ومســـتعد لخدمـــة الآخرين،وصـــديق الحـــيوانات،ومحافظ عـــلى النظام،ومرح،وشـــجاع، ونشيط،وطاهر في أقواله وأفعاله كما هو طاهر في جسده. و لا تأخذ هذه القواعد لدى الطفل شكل قواعد تفرضها تقاليد الراشدين،ولا شكل قيد يقيد رغبته في القيام بإعمال عظـــيمة : بـــل تـــأخذ لديـــه ،عـــلى العكس ،شكل قواعد للعب و الشرط اللازم لحياة المجتمع الكشفي،ولهذا يخضع لها بملء أرادته.((ولا يلبس التعبير عن هذا القانون شكل((محرمات)) سلبية، أو أوامـــر ايجابية ،بل يلبس شكل تأكيدات هي أشبه ما تكون ((بوصف لنموذج مثالي))ينبغي أن يحذو المنتسب حذوه: ومن هنا تأتي قوة الإيحاء الكبرى الثاوية فيه.

وفي مثل هذا التنظيم ،يلعب الرؤساء) وقود الفرق))دورا رئيسيا وترجع القوة المعنوية للقائد في مثل هـــذا الحال إلى انه في آن واحد مرب ومدير ألعاب و تسليات أو قل مربيا عن طريق التسليات ولا يضعف هذا من مهابته ومن قدرته على الإيحاء ،ما دام يهيب بغريزة التقليد لدى الطفل و بحاجته إلى أن يحـــاط و يوجـــه ويدعم .والحركة الكشفية حين تثق بالطفل تعني في الوقت نفسه بتنمية الشعور بالمســـؤولية الشخصـــية لديه وهو صنو لاحترام القانون.والطفل الذي ((يوثق به)) يغدو في مثل هذا النظام صانع تربيته،وأفضل مساعد لمعلمه.والوعد الذي يعطيه الكشاف أو الجرموذ) نتيجة تلزم عن

ذلـــك.فالطفل لا يصبح كشفا حقا إلا بعد أن يقسم بشرفه بإطاعة قوانين الجمعية.وهذا الوعد الأول الـــذي يقطعـــه عـــلى نفســـه وعد إرادي خالص.والشعور بالمسؤولية والشعور بالإخلاص لقانون ،يتضمنان في الوقت نفسه شعورا بالحرية (في الموسوعة الفرنسية

إمـــا التنظيم العملي للحركة الكشفية فهو التالي((الوحدة الصغرى هي الطليعة Patroulle :و تتألف من ستة صبيان ،أو بنات ،تحت إشراف مسؤولية واحد منهم يسمى باسم رئيس.ويجتمع أربعة أو خمســـة مـــن هـــذه الطلائـــع ـــــــ لا أكثر ليكونوا فرقة Troupe تحت إشراف مثقف أو مرشـــد.ومـــثل هذا العدد كاف ليتمكن معلم واحد من العناية عناية فعلية وفردية بكل واحد:وهذه النقطة الأخيرة هامة من وجهة نظر التربية و الطبع.والصلات بين المثقف وبين

الصغار التابعين له أشبه بالصلات مع الإخوة الكبار ،وما هي كالصلة مع الضباط أو المعلمين.

ورؤســـاء الطلائع في الفرقة يكونون محكمة الشرف،أو اللجنة التي تدير أعمال الفرقة.وتوزع القطعان في طوائـــف ثلاثـــة تبعا لسن أعضائها: الجراميذ الذكور و الجراميذ الإناث وأعمارهم بين الثامنة و الحادية عشر

ويتوجـــب توجيههم في الطريق السليم ـــــ الكشاف ون و الكشافات وأعمارهم بين الثانية عشرة والسادســـة عشـــرة ،ويقومون بتربية أنفسهم وبتنمية أنفسهم ـــــ وأخيرا النجادة وأعمارهم فوق الســـابعة عشـــرة،ويعدون لمهماتهم كآباء في المستقبل ولواجبات الحياة الأخرى ،و من بينها الخدمة المدنية.

وفي كل طائفة من الطوائف الثلاثة السابقة ، تتجه الثقافة نحو أربعة أهداف رئيسية:

1) الطبع و الذكاء،أي الرجولة والشعور بالمسؤولية الفردية
2) المهارة في الأعمال اليدوية ،أي البراعة و روح الابتكار،
3) الصحة و القوة الجسدية ،أي الطاقة الفردية والصبر ولذة الحياة
4) الـــتعود عـــلى خدمـــة الآخـــرين ،أي التعاون و الإرادة الجماعية الطيبة ((... (بادن باول Paden Powell ذكـــر ذلك فيرييرFerriàreفي كتابه: التربية و التضامن ،ص 121 وما يليها Education et solidaritè)

هكـــذا نـــرى إن الحـــركة الكشفية مدرسة تعلم الاستقامة الشخصية و الشعور بالمسؤولية و الحس الاجـــتماعي و الحـــس المدني . و هي أيضا مدرسة للقادة في المجتمع الديموقراطي .فالصبيان يألفون مناقشة مشروعاتهم ويقابلون أفكارهم ،و ينسقون وجهات نظرهم .وعندما يتخذون قرارا

يخضـــعون له ويـــتوزعون المهمات ،وبكلمة واحدة يتعلمون التعاون عن طريق العمل المحسوس . و الرؤســـاء أولئك الذين يظهرون تضحية اكبر ،ومبادرة أذكى ،وسلطة معنوية أسمى ،وإخلاصا أبقى لقانون الزمرة.

و عن مجلسهم تصدر أهم القرارات :من مناهج و تمويل وتسميات للأعمال المختلفة و اختيار لاماكن المعســكرات و وضــع الأنظمــة و مراقبة التطبيق(هنري بوشيه Henri Bouchet : الحركة الكشفية (Le Scoutisme;Paris;1933,

ومــن هــنا تلــتقي الكشفية لقاء عميقا مع تعاليم علم النفس الطفل و المراهق و مع تطلعات التربية الحديــثة التي تستند إليها. وهي أيضا تستطيع أن تجعل شعارها :البدء من الطفل ، وبواسطة الطفل ، و من اجل تنظيم المجتمع.

وقــد انتشرت الحركة الكشفية في بلدان العلم جميعها . وبعضها مثل هنغاريا وبولونيا وسيام وغيرها ،جعلــوا مــنها النضام القومي لتكوين الشبيبة .وفي فرنسا تنقسم المنظمات الكشفية إلى أربعة أقسام :كشــاف فرنســا وهــو كاثولــيكي خــالص ، الكشــاف ون الاتحــاديون وهــم متأثرون بالبروتســتانية،ولكنهم للجميع،والكشــاف ون الفرنسيون وهم لا يحملون طابعا دينيا خالصا.أما الفتــيات فنجد المرشدات الكاثوليكيات و المكشفات الفرنسيات .وتضم هذه الأقسام جميعها150 منتسب،وينسق عملها مكتب اتحادي

الكشفية و قواعدها الأساسية

بقلم ((غيران دوجودان)) تعريب محمد صالح البنداق

مجلة الكشاف (سورية 1954) ص 10 . .

كـــان ذالـــك عام 1908 عندما عاد الجنرال بادن باول من رحلته الطويلة في إفريقيا و الهند حيث أمضـــى السنين الطوال ،ونشر في إنكلترا كراريسه الصغيرة تحت عنوان((الكشفية للفتيان)) وكانت تصـــدر مـــرتين في الشهر وفيها من القصص و الألوان ما يقضون به أوقات الفراغ بشيئ ممتع جميل مفـــيد .و لم يكـــن حينئذ يصبو إلى تأليف جمعية أو منظمة تسهر على ألوف الفتيان الإنكليز الذين اســـتهواهم بـــرنامجه،كما انـــه لم يكن يفكر بأنه سوف يستنبط الوسائل المختلفة لمصلحة الفتيان و الفتيات البالغين أو أن يصبح

يومـــا رئيسا لحركة عالمية تضم ملايين الشبان من كافة الأجناس و الثقافات فترافقها ثورة عظيمة في مضمار التربية.

لقد أمضيت سنة دراسية في إنكلترا جعلتني أرافق تلك الحركة منذ نشأتها فأتتبعها على التوالي في كافة الدرجـــات مـــن فتى يافع إلى رئيس فرقة فمفوض ،فزعيم وطني اعبر بلسان المؤسس .ولذلك فإنني سأتغلب على كل تحفظ ينبغي أن يلازم ((القدماء))في حديثي هذا رغبة مني بجعل الفتيان

يستأنســـون في ســـبيل تقـــديم اختيارات جديدة قائما بدوري لأقدم الأهداف والقواعد المسلكية والنتائج الفردية و الجماعية التي توصل إليها الحركة الكشفية.

كـــان الهدف الأول لمؤسس الكشفية أن يوجد ((مواطنين))أي أن يهذب لدى الأفراد بعض الصفات الخلقـــية في توجـــيههم نحو خدمة الوطن . وفيما بعد عندما تشربت تعاليمه أكثر الشعوب ،أضافت إليها فكرة التفاهم و الأخوة العالميين.

كانت الأسس التي جعلها نقطة للانطلاق واضحة سهلة يمكن أن توجز بهذه الكلمات

إن الأمـــم تمـــتد حـــياتها طويـــلا عـــلى أساس الأخلاق أكثر منها عن طريق معطيات الذكاء و العـــبقرية.ذلـــك لان الانهـــيار الخلقي ومفهوم التمدن هما اللذان سببا تقويض دعائم الإمبراطوريات العظمـــى في الـــتاريخ. وتربتنا الحديثة هي كتابية أكثر منها واقعية ، ولذلك ينبغي أن نبث في نفوس الفتـــيان الـــتي الاختبارات التي عاشها العظام عن طريق الرجولية والسيطرة عن النفس وسرعة اتخاذ المقررات ،والثبات ،والنظام،وتعليمهم العمل بتفان وإخلاص في سبيل الآخرين وفي سبيل أوطانهم.

لا تبدو هذه الأهداف جديدة كما أنها لم تكن كذلك عامي1908.أن الجديد في الأمر هو اعتبارها ممكنة التحقيق والتأكيد بأنه ليس ثمة طائفة من التعابير المتفق على ترددها في خطابات توزيع الجوائز بل ثمة حقائق ينبغي إن تجسد في الوقائع و الأعمال.

ولقـــد عـــبر بادن باول ذاته عن مصدر إيحاآته بعد أن عاش في المستعمرات بين رجال أشداء اعتادوا حـــيات المتاعـــب و الصعوبات دون خوف من شيئ وفي وسعهم أن يتخلصوا من اكبر المأزق و في مخـــتلف الظـــروف نظر الحيويتهم ولذلك دهش عند عودته إلى الوطن الأم حيث كان يشاهد فتيان مـــائعين ، يـــبحون قـــبل كل شيئ عن الحياة السهلة غير ذوي مقدرة على مقاومة ميولهم الخسيسة وأنانيـــتهم الطبيعـــية،لا يأبهون بالخير العام ولمنافع وطنهم و يرغب أكثرهم (أن يدفعوا ثمن تذكرتهم لمشـــاهدة لعبة كرة القدم بد لا من أن يهتموا بان يكونوا هم أنفسهم الدافعين لتلك الكرة(! فلم يكن يشبههم فقط للبالغين الذين صادفهم خلال رحلاته عبر البلدان التي ظلت فيها الحياة اقرب شيئ إلى الطبيعة بل إلى ذالك الرهط من الفتيان الذين كلفهم مرارا بمهمات الارتباط عندما كان محاضرا في ميفكنغ عام1899 والذين برهنوا على أساس قوة الثقة التي وضعها بهم ،أنهم أكفاء للصمود عند عزف النائبات!

إن ذكرياته عن أولئك الفتيان هي إلي قادته إلى التفكير بالوسائل التي تخوله بلوغ أهدافه وبهذا المضمار بدا بادن باول أصيلا في قواعده التي جعلته يكون في مصف كبار رجال التربية المعاصرين، على الرغم مـــن انـــه يدهش فيما لو قيل له في تلك المرحلة انه حقا((مرب كبير)) أنني اذكر كلمة منه قالها لي خـــلال مكوثـــي لديـــه في ((بـــاكس هل)) في إحدى الأمسيات : ((إنني أخشى تلك الكلمات الفضفاضـــة أمـــثال سيكولوجية وبيداغوجية ،إذ إننا فيما نستعملها أحيانا ننسى ذلك الطفل المملؤ بالحـــيوية والنشاط)) . فكان يكتفي إذن بكونه قائدا سابقا للخيالة ،رياضيا ،وخيالا لم ينسى ميوله ونشاطه عندما كان في سن الشباب...

إذن فالطـــريقة الـــتي اتبعها بادن باول هي التي أتت حقا بجديد .انه لم يوضعها مطلقا و لم يشرحها نظـــريا ذلك بان الآراء التي اعتدنا وفق الحاجة أن ننعتها بالديكارتية (نسبة للفيلسوف ديكارت) هي ابعد ما تكون عن مميزات التفكير الانكلوسكسوني .

فمـــا هـــي إذن القواعد الأساسية لنظام بادن باول ؟ أنني أجدها سبعا ينبغي أن احللها .فالأول وهو الذي تتعلق به المبادئ الباقية هو

المبدأ الأول :

مبدأ الانسجام مع الطفل

فـــبدلا من أن يأخذ المربي نقطة الانطلاق في عمله ماذا ينبغي أن يعلم عليه أن يتساءل قبل كل شيئ ((مـــن هـــو ذاك الـــذي سأتصل به وادعي بان أؤثر عليه ؟وما هي رغباته وحاجاته؟وما يتوق أن يعمل؟)) انه لم يبد صعبا على رجل عاش في الهواء الطلق ،أن يكون اقرب شيئ إلى طفولته رغم سنه الخمسين ،فيشير فورا إلى المميزات الأساسية لكل فتى :النصور الرومانطيقي،حب المغامرات ،وتعشق الأبطال والقيام بالأعمال العظيمة ،والعمل المشترك ،والنهوض نحو مثل أعلى. فتصور بادن باول لعبة ،لعـــبة نظامـــية ودائمة لا تركن إلى النظريات بل يتعلق بها برنامج طويل في النشاط العملي :فيلعب الشبان لعبة المكتشفين ، ويقلدون حياة وأعمال كبار الفاتحين أو أعمال ممهدي الطرق

ومخـــترقي الغابـــات كما يظهر هؤلاء وأولئك في كتب غوستاف ايمار و فينيمور كوبر أو في كتاب ((الأدغـــال))لمؤلفه كبلنع حيث نجد الفتى ((موغلي))يتعلم حكمة((الشعب الذئب))فيعتادون على مزاولة

ما قام به أولئك الإبطال بطريقة ايجابية ويتشبهون بصفاتهم الرجولية التي برهنوا عنها على الدوام.

فمـــن خلال هذه الزاوية قدم البرنامج بأكمله و الأهداف جميعها إلى الفتى اليافع فتجد الأهداف التربوية

الأخلاقية ذاتها قد مرت عن هذا الطريق . وهذا ما كان يطلق عليه بادن باول (وجهة نظر الفتى) وهنا تكون وضعية انطلاق المربي التي تؤمن له ال (تعلق به) والاستمساك بالمبادئ.ولا يسعني هنا إلا مقارنة ذلك بنص غير معروف كثيرا ،لجان جاك روسو في كتابه((أميل) يشبه في رأيه رأي بادن باول ألـــيس مـــن الممكن تقريب تلك الدروس العديدة الموزعة في العديد من الكتب وجمعها بكاملها في موضـــوع موحد يسهل النظر به وتلذ متابعته بحيث يكون حافزا في تلك السن ؟ فإذا كان في وسعنا أن نخترع وضعية تكون فيها كافة رغبات الرجل الطبيعية بادية بطريقة شعورية لعقل الطفل و بحيث تـــنمو وسائل الاستجابة لتلك الحاجات نموا تدريجيا بذات السهولة ، فما ذلك إلا عن طريق التصوير الحي والنماذج معا الذي يمكن من إعطاء الطفل أول تمرين لمخيلته ...

فلا تجهد نفسك إذن بالبحث عن هذا الموضوع فقد بحث ووصف أحسن من طريقتك فيه ،دون إحراجك ،إذ وجد كتاب يقدم أجمل دراسة برأيي ، عن التربية الطبيعية ...

... هل هو مؤلف أرسطو أو بليسن أو بوفون؟ كلا انه روبنصون كروزوي.

فروبنصون كروزوي الوحيد في جزيرته حيث لا مساعد له من أقرانه وحيث لم تتوفر لديه أدوات كافـــة الفـــنون التي تحفظ بقاءه والتي جعلته رغم ذلك يعيش برفاهية ذلك هو موضوع هام . لدينا ألوف الوسائل بوسعنا أن نجعله ذا جابية ومسرة للأولاد.

فالجزيرة القفر ..تلك هي القصة التي تكون ملهاة وتهذيب اميل. وأنا أريد أن يتحول بتفكيره إليها فينهمك دون انقطاع بقصره ونعاجه وزرعه،وليتعلم بالتفصيل ليس في الكتب ،بل على الأشياء ذاتها كـــل مـــا يبغي أن يتعلمه وليتصور بأنه روبنصون ذاته ،وليتخيل نفسه وقد ارتدى الجلود وتعمم .. أريـــده يحـــار بين التدابير التي يتخذها إذ لا تشكوا أبدا بأنه لا يفكر بفعل ما فعل روبنصون .فالولد المـــندفع لإقامة مخزن في جزيرته هو انشط من المعلم لدى إعطائه الدرس انه يريد أن يعلم كل ما هو مفيد)

انـــه لا يســـعنا أن نشرح بأحسن من ذلك وسائل (اللعبة الكشفية) ويتبين لنا بكل وضوح مدى التشابه بين الظريتين

و المبدأ الثاني Reàction :

مبدأ يتعلق برد الفعل

أي الـــتمرد على الحياة الرغدة ،المترفة، قليلة الارتباط بالطبيعة ، والعودة إلى الاتصال المباشر بالطبيعة مـــع الحياة النشطة في الهواء الطلق ،و ارتداء الألبسة الخفيفة اللائقة ،و الاعتياد الطبيعي والمعنوي على التقلـــبات الخوية و الاعتياد على المصاعب ،والتمرن على التخلص من المآزق بطريقة شخصية ،وإنماء الإحســـاس نمـــوا قويا ،والمهارة اليدوية (التدثر)وهي كلمة في التعبير الكشفي على طرفي نقيض من الـــنظام العســـكري المريع الذي يطلق عليه اسم طريقة Stsemye وأضيف إلى ذلك التمرد على المعارف الشفوية الغريبة عن الحياة. والتطلع الشخصي على مشاهد وعوامل الطبيعة والملاحظة وجمع المعلومات والأخبار وتعديد العقل على الحكم الموضوعي على الأشياء وليس على الأقوال واكتشاف ودراسة الأشجار والأزهار والحيوانات والحشرات والطيور على حقيقتها ...

والمبدأ الثالث هو :

مبدأ النشاط أو الحيوية !

التعلـــيم عـــن طريق العمل والتمرن على ما يراد بثه ،العمل وحده والمزاولة إن هذا الرأي في دروس التربية الحديثة لم يكن يطبق سنة1908 كما كان فيما بعد ،فقد كان بعد في فجره عندما قام الفرد بينه ضد التعليم الكلامي النظري حيث يقول ((إن التعليم يكون سيئا عندما

يجعـــل التلمـــيذ جـــامدا لا يعمـــل (.....) فـــتكون نتيجة هذا التعليم المخزن إعدام على التطلع (.....)والاعتقاد بالوصول إلى أبحاث أصيلة عن طريق تصفح الكتب والاحترام الزائد لرأي مكتوب وعـــدم الاكتراث بالدروس التي تؤخذ عن العالم الخارجي الذي لا يرى شيئا منه والاعتقاد الساذج

بقوة النظريات البسيطة والهبوط بمعنى الحياة والتبرم من الانسجام ، بالحياة العصرية ،وفوق كل ذلك العقل الآلي)..

وأنـــا على يقين بان مؤسس الكشفية لم يطلع على هذا النص غير أن تفكيري المجددين الكبيرين قد التقيا هنا .ففي حقل النشاط الفني لا يبدو ذلك إلا صحيحا. و أصالة بادن باول تتركز بأنه تجرأ على أن ينتقل إلى الصعيد الخلقي قاعدة ((التعليم عن طريق العمل)) .

أن رجـــال الجـــيل الذي أنا منه ((والذين هم اصغر منا أيضا)) يذكرون ما كان في زمننا ماهية الشيئ الذي يطلق عليه (التعليم الخلقي والمدني) ولا شيئ كان ابعد منه عن أشغالنا اليومية ولا شيئ كـــان يبدو لنا أكثر منه بعدا عن حياتنا الخارجية . ولقد كان بوسعنا أن نصرخ عن طيب خاطر مع هاملت :

((أريـــد الكلمات ...والتعابير..)) غير انه لم يكن يبدو لنا أي ارتباط بين ما كانوا يوصوننا به وبين وجودنـــا الـــذاتي . أمـــا بادن باول فانه قد عرف كيف يمزج الخلقيات في حياة الفتيان ذاتهم بجعلها مندمجة بمنافعهم المباشرة وبجعلهم ينقادون إلى مزاولتها ورغبتها.

فكيف فعل ذلك ؟ انه فعله في اقتراحه على الشبان قاعدة مسلكية ،لقانون مستوحى من الفروسية دبجـــه بعـــبارات مألوفة للشبان و كان يناسب حياتهم اليومية. هذا القانون لم يكن كالنظريات التي ينعـــتها لاروشفوكو ((بأنها كالآراء التي تقدمها العجائز للشبان تعزية لأنهن لم يعد باستطاعتهن أن يعطيـــنها المثل السيئ)) أنها كانت قاعدة اللعبة التي يجهد المرء بإتباعها و إلا فشل بها . ولكي يؤكد بأنها حقيقة ينبغي أن يقسم أمام الملأ (أن يبذل جهده) كي يخضع سلوكه لتلك القاعدة ، فبدا بمزاولته للصـــفات المطلوبـــة وكأنه قد اقتبسها ، أو لا تقتبس إلا بالمزاولة وهكذا تتكفل الحياة الكشفية بجر الوعي إلى اللاوعي على حد تعبير غ لوبون.

لقـــد كان ذلك شيئ كثير على صعيد الخلق الشخصي. على أن بادن باول ابتعد أكثر من ذالك فقـــد اخترع وسائل من شانها أن تسهل كثير على الشبان تعهداتهم وكانت هذه الوسائل قائمة على الاستيحاء الذاتي الأكيد كما برهنت عليه الدراسات العديدة للتصرفات. وهذا ما يقدمه لنا

المبدأ الرابع :

مبدأ الإيحاء

إن طريقة بادن باول تتمسك في قدرة الصور الذهنية على السلوك الإنساني فهو يعرف ان هذه الصور ديناميكية بقدر ما عمل من الإحساس . فباحاطة الفتى الكشاف بالاحاآت الإضافية القادرة بقدر ما يسهل عليه مزاولة القانون .

وأقوى تلك ألايحاآت هي :

ألايحاآت بالأخوة

إذ عليـــنا ألا نخطئ بالتعبير عن الفرقة الكشفية وكونها كما كانت في البدء حيث كان ثمة غوامض أو خوف من الالتحاق بها) ((ليست شركة سياحية)) أو فرقة مخيمين))

بـــل أنهـــا حقا ((أخوية)) على الإطلاق . وكل عضو من أعضائها منتسب فقد وعدوا جميعا بان يكونوا متكاتفين ،و جميعا يتأثرون ببعضهم البعض باتجاه واحد وبانسجام فكري واحد .

ألايحاء الصادر عن البزة والشارة

كثير من الملاحظين الغرباء اعتقدوا بان البزة الكشفية لأسبب لوجودها إلا قيمتها العملية . هذا خطأ ! ((أن الـــبزة أو الشـــارة على الثياب المدنية)) ما هي سوى الصور الإيحائية التي تذكر بالتعهدات المأخوذة وتقوي ما يتبعها من المواقف عن طريق الشعور وتوارد الأفكار.

إيحاء إشارات الاعتراف

لكي يذكر بادن باول هؤلاء المتحدين بأنهم ينتمون لعصبة واحدة ويخضعون لقانون واحد يطبقونه ، فقـــد جعل لهم تحية خاصة ومصافحة بالأيدي خاصة . وفي ذلك يضحك من لم يدرك مطلقا شغل الاحـــاآت وتوابـــع تبادل العواطف و الإشارات . ولقد أضاعت هذه الإشارات قيمتها منذ 1908 ولكـــن آه لو نعلم ما كان لها من القدرة عندما كانت تذكر الكشافين بأنهم ((إخوان وأنهم انضموا تحت لواء العهد)) .

الإيحاء بتحقيق "شخصية إنسانية"

إن القـــانون الذي تحدثنا عنه أنفا لم يدبج بعبارات سلبية مثل ((يجب أن لا اكذب)) إن بادن باول كـــان يدري بان كل منع قد يأتي أحيانا عن طريق ((الإيحاء السلبي برد فعل معاكس (وهذا ما يطلق عليه كثير من علماء النفس المحدثين اسم المجهود المعدل))Effort Converti) كما أن القانون لم يكتـــب بشكل أوامر جازمة ((يجب أن نقول الحقيقة)) ذلك لان بادن باول كان يدري بان الفتى لا يحب تلقي الأوامر . وهنا نجد أيضا إيحاء يلعب دوره فالقانون الكشفي يصور بطريقة ايجابية شخصية إنسانية معينة . هذه الشخصية التي تأخذ عن المكتشف ،والفارس ، وشرطة التحري (وعن الجنتلمان أيضـــا لدى الإنجليز) أصبحت بالنسبة شخصية ((الكشاف الذي يكتفي القانون بتصويره بأنه (مطيع متواضـــع، خـــدوم ، الخ، فيتشرب الكشاف المتجدد هذه الشخصية ويراها حية في مخيلته . وعندما ينهي تمارينه الأولى فيأخذ على نفسه العهد ويتسلم الشارة من رئيسه ويستمع إليه قائلا : أنت الآن كشاف ، تتجسد في وعية هذه الصور ويريد تحقيقها ((كشاف جديد وجد ... أنا كشاف ... فإذا أنا موجود ! ...)

الإيحاء بالثقة :

إن التمسك بالشرف وبالعهد الذي قطعه الفتى على نفسه تجر إلى ثقة الغير له. و((كلمة لي ثقة بك)) الـــتي يرددها الرئيس توحي للصبي بأنه معتبر شخصيا لا يغش . ولقد قال ادمون ديمولان: ((كما نعامل الناس ، فكذلك يصنعون)) وكل مخلوق يتوق إلى تحقيق الصورة المحسنة التي كونها عنه الغير . ولا أنسى ما خالجني من الشعور يوم حمل النسيم إلى مسمعي

في احـــد المخـــيمات ، كـــلمة قالها كشاف لرفيقه : ((لا يمكن أبدا أن يكذب على الرئيس ، لأنه يصدق كل ما يقال له ...))

والمبدأ الخامس هو Canalisation Des Tendances

مبدأ توجيه الميول:

وفي ذلك مفهوم أساسي للسلوك الإنساني ، ذلك السلوك الذي أوضحه فيما بعد علماء النفس ، إلا وهـــو الطاقـــة النفسية التي تجيش رغبة ما تبدو مستقلة عن فعل سيئ أو حسن ارتكبه الفتى. فهو بحاجة إلى توسيع آفاته .فإذا صعد في قطار ليشاهد البلدان دون تذكرة فانه بذلك يرتكب عملا سيئا ، ولكـــنه إذا انضم إلى لزمرة من المتنزهين واكتشف الغبطة التي يقدمها السير على الأقدام ـــــ فان ذلـــك عمـــل مفيد .وثمة صبي محب للمغامرات يعاشر قرناء السوء ويلهو بتحطيم مصابيح الشارع يقذفهـــا بالأحجار ، عمل سيئ ، أما إذا لعب بكرة السلة مع فرقة ممتازة فيقذف الكرة إلى الشبكة فهذا عمل مفيد.

وعـــلى هذا الأساس تتجنب الخطة الكشفية إضاعة عنفوان الشبان بشؤون ضارة . أنها تجهد بان تســـتبق الأمور وتقدم لطاقة الفتى أهدافا نافعة يسعى إليها قبل أن تذوب تلك الطاقة بأعمال مشينة وســـيئة . والفتى من شانه الميل إلى بعض الأمور العادية لمن هم في سنه ، فيمنح حينئذ شارة توم عليه أن يكسبها

بجهوده الشخصية وتقدمه الملموس . و الفتى من شانه حب الإطلاع ، فينبغي أن توجه هذه الميزة نحو دراسة الطبيعة .انه يحب الصراخ ، فينبغي نجعله أن يصرخ مع كافة أفراد فرقته ، صرخات منـــتظمة توحي بالنظام الاجتماعي بدلا من أن تكون مصدرا للفوضى ، وهكذا تهذب وتوجه كافة الميول و المبدأ السادس هو

مبدأ الالتحاق الحر

فـــلا هـــنالك أكراه بل عرض اقتراح . إذ ينبغي أن تحترم حرية المرء فيترك له شان تحسس اختباراته الشخصـــية في تقديم أقصى حد من إمكانيات مباشرة والمبادرة لديه . كان بادن باول يقول : ((إن

كـــل كـــائن بشـــري علـــيه أن يحتفظ بحقه الصريح بالخطأ و إعادة الكرة . فدعوا الشبان يخطئون ويصححوا أخطاءهم بأنفسهم طالما أن ذلك في حيز امكانهم .))

على أن هذه الحرية ينبغي أن لا تتحول إلى فوضى ذاتية . ومنعا لذلك أشركها بادن باول بغيرها . انه ليس من حق كل إنسان أن يفعل ما يبدو له صالحا ولكن من حق الجماعة أنفسهم تقرير مصيرهم وهذا ما أطلق عليه نظام الطلائع فالوحدة المحلية ((أي الفرقة)) تقسم إلى حظائر صغيرة من 6الى8 وكـــل طلـــيعة يرأســـها احد أفرادها ويترأس مجلها وينظم أعماها ويحقق وجوده المادي . و رؤساء الطلائـــع في اجتماعاتهم تحت راية رائد الفرقة يشكلون لجنة إدارة حقيقية حيث يناقشون ويصوتون ويتمرسون على أساس تجربتهم الحية على السلوك الديموقراطية للجماعة.

ويجمل بالقائد أحيانا أن يكون لبقا لدرجة تجعله يتضاءل حيال أمر من الأمور فيوجد الفرصة لفكر الفتـــيان ذوي الخمســـة عشـــر عاما فيتركون لتفكيرهم العنان ويوجد الفرصة مواتية لكي يذكرهم بالمقـــررات المـــتخذة بالفـــرقة في إحدى المناسبات فيبرهن لهم عمليا لأي حد ينبغي أن نتحرر من الفورات العابرة كي نظل أحرارا حقيقيين وبهذا نكون قد حققنا عهد الحرية تلك الحرية التي يراقبها أحســـن مـــا عند الإنسان ((ألانا)) والانا هذه غير موجودة دوما ولكنها ولكنا التي يذكر بها المربي دوما .

وأخيرا نصل إلى المبدأ السابع وهو :

مبدأ اندماج الأهداف

انـــه ليس هناك وقت للتلهي وأوقات للعمل والتعليم والتربية. أن هناك وحدة حياة فإذن اتحاد داخلي للشخصيات . وكثيرا ما يحددون أن تنقسم حياة الفتيان . فدروس الدين والأخلاق لها ساعات معينة كما للعمل ساعاته الخاصة وللعلب كذلك . فليس ثمة ارتباط عضوي بين هذه الحقول وتكون نتيجة ذلـــك انحـــلال ما يربط بين الفكرة والحياة ، ويعلم الناس صراحة وشفويا بعض النظريات ، غير أن الحياة العملية تختلف عن ذلك كل الاختلاف وهذا هو مصدر كثير من الشكوك وكثير من النزعات

وبعكس ذلك فان النظرية الكشفية تصهر كافة أهدافها على ارفع نسبة في اللعب ـــ اللعب الجدي ، اللعب الذي لا يتشرف الإنسان من أن لا يلعبه ((وفق القواعد)) إن درس الأخلاق لا يعطي من الســـاعة كذا إلى الساعة كذا ، انه درس دائم .وهكذا تحقق الطريقة الكشفية تأنيب مونتانيو : ((إن درسنا الذي كنا نأخذه دون إلزام الزمان و المكان ، مختلطا مع أعمالنا كما يمضي دون أن نحس به، فالألعـــاب والـــتمارين هـــي جزء من الدروس . إنني أريد أن تمتزج الطمأنينة الخارجية والاجتماع واستعدادات الشخص مع روحه! أن بين يدينا جسدا نربيه لا روحا ، أن بين يدينا رجلا.))

نعم أن بين يدينا رجلا ...

محمد صالح البنداق

حركة الكشافة والمعسكرات

وعـــلى نمـــط المـــثال الذي وضعه سير بادن باول مؤسس الحركة الكشفية في انجلترا تكونت جمعية الكشافة الأمريكية سنة 1910 وبعد سنوات قليلة قامت حركة الفتيان المرشدات، وفي سنة 1911 بـــدأت حـــركة معسكرات للفتيات بإشراف جماعة من المربين، و لم يقف نشاطهم عند حد التجول وإقامـــة المعســـكرات، بل كان البرنامج يتضمن كمعظم برامج منظمات الشباب، ممارسة الألعاب، والغناء الجماعي، وعقد المؤتمرات، والنشاط التربوي والثقافي الذي يجري خلال جماعات المناقشة

وقـــد كـــان بـــادن باول من رجال الجيش وفي نفس الوقت مربيا ملهما، وقد رأى ببصيرته ضرورة تدريـــب الصـــغار عـــلى الطاعة والنظام حتى تنمو شخصياتهم ويستطيعوا الاعتماد على أنفسهم في المواقـــف المختلفة، وقد كان يهوى ارتياد الغابات وارتقاء الجبال و ركوب البحر وتسلق المرتفعات، واســـتطاع بفضـــل كفاحه المستمر ضد قوى الطبيعة أن يسيطر على رغباته ويتحكم في نزعاته حتى أصـــبح يعـــتقد أن هـــذا النوع من التربية هو أصلح الأنواع لإعداد الشباب، وهكذا قاد جماعات الكشـــافة إلى الأحـــراش والغابات والتلال والوديان ليقهروا نزواتهم ويتغلبوا على الصعاب المختلفة، وكـــان يهدف من وراء ذلك إلى تكوين أفراد يتمتعون بشخصيات متزنة متكاملة ينسجم فيها النمو الجسمي والعقلي والانفعالي للفرد، ويرقى فيه السلوك وتسمو لديه القيم الروحية، كما كان يرى أن الفـــرد لا يســـتطيع أن يقـــوم بوظيفته الاجتماعية إلا بالانتماء إلى جماعة ونجح في تكوين علاقات اجتماعـــية مع الأفراد الآخرين في المجتمع، ونادى بأنه يجب على الصبيان أن يحبوا جيرانهم كما يحبون ربهم

أمـــا الـــنظام الـــذي رغب بادن باول في طبع الصغار عليه فيقوم على ضبط النفس وراء أن يكون اكتســـاب هذه العادة في جو من الحرية والتلقائية ،و لم يلجأ إلى الأساليب العسكرية في التدريب إلا بالقدر الذي يسمح للصبيان بالتعرف على التحرك بطريقة منتظمة بيد انه كان يرمي إلى توفير الصحة الجســـمية لهم عن طريق السير والتسلق والسباحة والتجديف والاهتمام بأنفسهم ورعاية غيرهم ببذل المعونة في حالات الطوارئ التي تفرضها الحوادث أو العوامل الطبيعية

ولقـــد أراد بـــادن بـــاول أن يشـــجع الصبيان على التجوال بصفة خاصة كي يتعرفوا على الطبيعة ويواجهـــوا المشـــاكل الـــتي تقف أمامهم بمختلف الوسائل ومن ثم كانت المعسكرات من أهم أوجه النشـــاط الـــتي يقوم بها فتيان الكشافة والجوالة ،وكان عليهم أن يتعلموا طرق إدارتها وبرامجها تحت إشـــراف الـــرواد، ثم يشجعون بعد ذلك على الخروج بمفردهم في جماعات صغيرة لاكتساب الخبرة وتنمية شخصياتهم اثناء التعامل مع المواقف المختلفة ...